

تأليف : آرثر كونان دويل

مغامرات

شارلوك هولمز

الرجل ذو الشفة المقلوبة
The Man with The Twisted Lip

نشرت للمرة الأولى في مجلة ستراند كانون الأول 1892



ترجمة : سليمان حسون

أجيال الغد

لجيل عربي مثقف وواع



مغامرات شارلوك هولمز

- 1- فضيحة في بوهيميا
- 2- عصبة ذوي الشعر الأحمر
- 3- الهوية الغامضة
- 4- لغز وادي بوسكومب
- 5- بذور البرتقال الخمس
- 6- الرجل ذو الشفة المقلوبة
- 7- مغامرة العقيق الأزرق
- 8- مغامرة الشريط المرقط
- 9- مغامرة إبهام المهندس
- 10- مغامرة النبيل الأعزب
- 11- مغامرة تاج الزمرد
- 12- مغامرة منزل الأشجار النحاسية

ذكريات شارلوك هولمز

- 1- ذو الغرة الفضية
- 2- لغز الطرد البريدي
- 3- الوجه الأصفر
- 4- لغز موظف البورصة
- 5- لغز سفينة غلوريا سكوت
- 6- طقس موسعريف
- 7- لغز بلدة ريغيت
- 8- لغز الرجل الأحذب
- 9- المريض المقيم
- 10- المترجم اليوناني
- 11- وثائق المعاهدة البحرية
- 12- المشكلة الأخيرة

ISBN 978-9933-14-822-5



9 789933 148225

أجيال الغد

سورية - دمشق - هاتف: 2256733 / 00963 11 2262422

ص.ب: 31453 - agyalalgadsyr@gmail.com

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الثانية
2015م - 1436هـ

مغامرات شارلوك هولمز The Man with the Twisted Lip الرجل ذو الشفة المقلوبة

تأليف: آرثر كونان دويل
ترجمة: سليمان حسون

أجيال الغد

سورية - دمشق - هاتف: 00963 11 2262422 / 2256733
ص.ب: 31453 - agyalalgadsyr@gmail.com
أشرف على التنفيذ الفني والطباعي دار الحافظ
daralhafez.net

6

مغامرات شارلوك هولمز

The Man with the Twisted Lip
الرجل ذو الشفة المقلوبة

تأليف: آرثر كونان دويل

نشرت للمرة الأولى في مجلة ستراند
كانون الأول 1891

ترجمة: سليمان حسون

مراجعة: ليلى حجازي

مَقْدَمَةٌ

تفوّقت شخصية شارلوك هولمز على شهرة مخترعها سير آرثر كونان دويل وتجاوزت شهرتها ليس فقط لندن والجزيرة البريطانية، بل بلغت أقاصي العالم مع ترجمة أعمال ومغامرات هولمز إلى كل لغات العالم تقريباً. فلم يعد أحد من الشّبان أو الشّابات إلا ويعرف من هو ذلك المحقق اللامع الذكاء الذي يعير انتباهاً إلى أدقّ التّفاصيل عندما يضع قضية ما تحت مجهر فحصه الدّقيق. ومن منا لا يذكر براءة هولمز في فكّ طلاسّم أعقد الألغاز وأشدها غموضاً بطريقة تحليله المنطقية الشّهيرة. تعتبر شخصية هولمز غير الحقيقية طبعاً واحدةً من أكثر الشخصيات تأثيراً في القراء خلال القرن العشرين نظراً لمخاطبتها عناصر أساسية في شخصية أي إنسان لتحفيز قدراته

العقلية، وتفكيره من أجل الوصول إلى حل كل لغز اشتركت فيه. وكأنَّها (أي شخصية هولمز) كانت تحت القارئ دوماً وتحفزه للوصول إلى الحقيقة، أو حل اللغز المطروح بشكلٍ يجعل القارئ يضطر لاستخدام كل ملكاته الفكرية والعقلية للوصول مع هولمز وواطسون إلى حقيقة الأمر، أو حتَّى أن يسبقهما في التوصل للحقيقة. الطَّريف في شخصية هولمز أنَّها وعلى الرغم من أنَّها تقدِّم لنا شخصاً من لندن في نهاية القرن التَّاسع عشر إلا أنَّها من خلال طريقة تعاملها مع ما حولها ومن حولها تبدو شخصية أكثر معاصرة وكأنَّ كونان دويل نجح بتحويلها إلى شخصية خارج إطار زمان محدد.

الأهم من شخصية هولمز التي تتسيّد كل قصص كونان دويل هي شخصيّة كاتبها التي تشي بشخص عاش حياته كتجربةٍ عظيمةٍ تمكَّن إلى أقصى حد في تصويرها من خلال شخصية هولمز، أحياناً وشخصية د. واطسون بصورةٍ أكبر وأكثر جلاء. كما تمكَّن الفنان سيدني باجيت من ابتداع صورة نمطية محدَّدة ومشوِّقة للسيد هولمز في

أذهاننا، مع مواكبة قصص كونان دويل برسومات جميلة جعلت صورة هولمز المرتدي لقبته المميزة. وجليونه الجميل، صورة لا تمحى من أذهاننا.

آرثر كونان دويل

مؤلف شخصية «شارلوك هولمز»

ولد الطبيب والروائي البريطاني السير آرثر كونان دويل في أدنبرة باسكتلندا سنة 1859، واشتهرت الشخصية التي ابتدعها «شارلوك هولمز» لرجل التحري الذكي القادر على فك ألغاز الجرائم، معتمداً على امكاناته الذهنية وقوة الملاحظة، واتباع طريقة الملاحظة والتحليل والاستنتاج بالاعتماد على العلم والمنطق، هذه الشخصية التي أصبحت أكثر شهرة من مبتدعها.

وقد مثلت العديد من رواياته وقصصه، وتحولت إلى أفلام سينمائية وأفلام كارتونية. وقد هجر السير آرثر دويل مهنة الطب بعد أن مارسها ثماني سنوات، واتجه إلى الأدب، واستطاع أن يبدع فيه. بدأ حياته الأدبية سنة 1887 بكتابة القصص القصيرة للمجلات بهدف زيادة دخله. يقول

النَّاقِد كريستوفر مورلي عن شارلوك هولمز: لم يحدث أبداً أن نالت شخصية روائية هذا الحظ من القدرة على امتاع القراء والالتصاق بهم بمثل ما نالت شخصية شارلوك هولمز. فالسير آرثر دويل بعد أن مارس مهنة الطب في عيادته التي لم يكن يزورها إلا النزر اليسير من المرضى، كان يجد أوقاتاً كبيرة من الفراغ، شغلها بكتابة القصص القصيرة، والتي لم تنل حظاً من النجاح في البداية.

إلا أنَّه وبعد نشر روايته الأولى عن شارلوك هولمز سنة 1887 أخذ نجمه في الصَّعود. وبلغت مجموع القصص والروايات التي كتبها السير آرثر دويل وظهرت فيها شخصية شارلوك هولمز حوالي 60 عملاً، جُلَّها من القصص القصيرة، حتَّى أصبح السير آرثر دويل من أكثر كتَّاب القصَّة القصيرة دخلاً في عصره.

ونظراً لجهوده في دعم الحكومة البريطانية في حرب البوير «1899 - 1902» رقيَّ إلى رتبة فارس سنة 1902.

شارلوك هولمز

شخصية خيالية لمحقق من أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ابتكرها الكاتب والطبيب الاسكتلندي سير آرثر كونان دويل، ظهرت الشخصية لأول مرة في 1887، واشتهرت الشخصية بمهارتها الشديدة في استخدام المنطق والمراقبة لحل القضايا، وقد يكون هو أشهر محقق خيالي في العالم، وهو بالفعل أحد أكثر الشخصيات الأدبية المعروفة بشكلٍ عالمي.

كتب كونان دويل أربع روايات، وستاً وخمسين قصة قصيرة من بطولة هولمز، رويت جميعها من قبل صديقه الحميم وكاتب سيرته دكتور جون هـ. واطسون، باستثناء قصتين رواهما هولمز بنفسه، واثنين رويتا بضمير الغائب.

وصف شارلوك هولمز نفسه بأنه محقق استشاري خبير، يتم استدعاؤه لحل القضايا التي يثبت أنها صعبة الحل جداً على المحققين الرسميين (النمطيين). وتُخبر القصص أنه كان قادراً في العديد من المناسبات على حل القضايا بدون مُغادرة بيته، دون أن تهتم القصص بتقديم الكثير من

هذه القضايا الصّغيرة، مُركّزة على القضايا المشوّقة التي تتطلّب منه القيام بتحريك ساقيه فعلاً. يتخصّص هولمز في حل القضايا الغريبة مستخدماً قواه الاستثنائية في المراقبة والتّحليل المنطقي.

يُصوّر هولمز بشكلٍ دائمٍ في الوسائط الإعلامية المختلفة مرتدياً قبعة صائد الأيائل وعباءته، مُدخناً غليوناً، وممسكاً بعدسة مكبرة. ويوصف هولمز بأنّه سيدٌ إنجليزي من الطّراز الفيكتوري، طويلٌ ورشيّق، له عينان حادّتان دقيقتان، وأنف معقوف. بالرّغم من قامته النّحيلة فإنّ قدراته البدنيّة عالية. هو ملاكٌ ومبارزٌ ماهرٌ، وعادة ما يتغلّب على خصومه في المرات القليلة نسبياً التي اضطر فيها للاشتباك جسديّاً. وفي مغامرة إكليل العقيق يقول هولمز أنّه: (يملك قوة استثنائية في أصابعه). أمّا في مغامرة المنزل الفارغ فيذكر أنّه: (يملك القليل من المعرفة حول المصارعة اليابانية). كان يعيش هولمز في لندن شارع بيكر عنوان B 221.

في أوّل قصصه، دراسة بالقرمزي، قدّمت بعض

المعلومات عن خلفية هولمز. قُدم في 4 آذار 1881 على أنّه طالب كيمياء مستقل، له مجموعة واسعة من الاهتمامات الجانبية، وتقريباً؛ فإنّ كل هذه الاهتمامات تصب في مجرى مساعدته ليصبح خارقاً في حل الجرائم. في مغامرة أخرى مبكّرة بعنوان مغامرة غلوريا سكوت، تتضح الأسباب التي دعت هولمز إلى العمل كمحقق خاص؛ امتداح والد زميله في الكلية الشّدِيد لمواهبه وقدراته الاستنتاجية.

في مغامرة المترجم الإغريقي، يقول هولمز: أنّ جدّته كانت شقيقة الرّسام الفرنسي فيرنو. وفي دراسة بالقرمزي، يضع دكتور واطسون تقييماً لمهارات شارلوك:

ويعتبر شارلوك هولمز أيضاً مُحلِّل شفرات كفاء، ويقول لواطسون: أنا متآلف مع كل أشكال الكتابة السريّة بشكل جيد، وأنا نفسي مؤلف كتاب ثانوي حول الموضوع، حللت فيه مائة وستين شفرة منفصلة. حُلّت إحدى الشّفرات في مغامرة الرّجال الرّاقصين، التي استخدمت سلسلة من الأشكال الأولى.

كما أظهر هولمز نفسه كأستاذ في التّنكر بعد أن تنكر في

أشكال مختلفة خلال مغامرات: بحار (علامة الأربعة) وسائس خيل، ورجل دين (فضيحة في بوهيميا)، ومدمن أفيون (الرجل ذو الشفة المقلوبة)، ومتبطل عادي (مغامرة إكليل العقيق)، وكاهن إيطالي عجوز (مغامرة المشكلة الأخيرة)، وبائع كتب (مغامرة البيت الفارغ)، وعامل تمديدات صحيّة أو سبّاك (مغامرة تشارلز أغسطس ميلفريتون)، ورجل محتضر (مغامرة المحقّق المحتضر)، وأخيراً متسول كلب آل باسكرفيل.

ويمكن اعتبار هولمز رائداً في علم الأدلة الجنائيّة الحديث لاستخدامه هذا العلم في قضايا، مثل: تعرفه على الفروقات بين أنواع الآلات الكاتبة لفضح الاحتيال (قضية هوية). وتوصله إلى جريمة باكتشافه قطعتين من البقايا البشرية (مغامرة صندوق الورق). وملاحظته لبقايا بارود على الضحية (مغامرة ميدان ريغاتي). وملاحظته نوع الرصاص المستخدم في جريمتين (مغامرة البيت الفارغ). واستخدامه بصمة الأصابع لتحرير رجل بريء (مغامرة باني نوروود).

عاش شارلوك هولمز تاريخياً، في 221 B شارع بيكر، لندن منذ 1881، حيث أمضى العديد من سنواته المهنية مع صديقه الحميم دكتور واطسون، الذي تشارك الشقة معه قبل زواج واطسون في 1890. وكانت تشرف على صيانة الشقة والاهتمام بها السيدة مارثا هدرسون، مالكة البناية. وقد وصف دويل الحي الذي يعيشان فيه بدقة، حتّى أنّ الكثيرين من القراء زاروا شارع بيكر للبحث عن العنوان الخيالي.

ومن أبرز الشخصيات التي ظهرت في حياة شارلوك هولمز:

د. واطسون

واطسون؛ صديق هولمز الحميم، وكاتب سيرته الذاتية، كما أنّه يقوم بتسجيل معظم قضايا هولمز. وفي القصص الأخيرة ينتقد هولمز واطسون دائماً لأنّه يروي القصص بشكلٍ مثيرٍ، مبتعداً عن الطّريقة الموضوعية والمفصّلة للتقارير التي تركز على ما يُسميه هولمز (العلم المحض). واطسون، بالمقابل، له سمعة مبررة بعض الشيء

كرجل يميل إلى النساء، يتكلّم بحب عن بعض النساء، وفي بعض القصص الطويلة كثيراً ما يركّز على جمال امرأة معيّنة، وفي النهاية فإنّه يتزوّج واحدة بالفعل. ماري مورستان من رواية علامة الأربعة.

جيمس موريارتي «عدو شارلوك هولمز الأزلي»

البروفيسور جيمس موريارتي (نابليون الجريمة)، هو في الأساس معلّم الرياضيات الخصوصي لهولمز، كما أشير لذلك أيضاً في عمل بارينغ-غولد. وهو المشكلة الأساسية في العديد من قضايا شارلوك هولمز.

سقط مع هولمز أثناء صراعهما في شلالات راينباخ. ونوى كونان دويل أن تكون (المشكلة النهائية) التي حدث فيها ذلك، هي آخر قصة يكتبها عن هولمز، لكنّ الرسائل الكثيرة التي استلمها مطالبةً بعودة هولمز أقنعتة بالاستمرار في كتابة القصص. وفي (مغامرة المنزل الفارغ) أخبر كونان دويل أنّ موريارتي وحده من سقط في الشلال، وأنّ هولمز جعل العالم يعتقد بأنّه مات أيضاً ليراوغ أتباع موريارتي.

آيرين أدلر

المرأة الوحيدة التي أبدى هولمز اهتماماً بها. وتبعاً لما قاله واطسون، فإنَّ هولمز كان يشير إليها دائماً باعتبارها (المرأة). بالرُّغم من أنَّ هولمز نفسه لم يستخدم هذا المصطلح، على أنَّه ذكر اسمها الفعلي عدَّة مرات في قضايا أخرى. وهي أيضاً واحدة من النِّساء القلائل اللاتي ذُكرن في قصص شارلوك هولمز، بالرُّغم من أنَّها ظهرت فقط في قصة فضيحة في بوهيميا، إلا أنَّها غالباً ما اعتبرت المرأة الوحيدة التي كسرت تحفُّظ هولمز. وهي المرأة الوحيدة التي هزمت هولمز في لغز.

مايكروفت هولمز

الشَّقيق الأكبر لهولمز، الذي يمتلك قوى تحليلية تفوق حتَّى تلك التي يتمتَّع بها شقيقه الأصغر. وبالرُّغم من ذلك فإنَّ مايكروفت غير قادر على أداء عمل تحرٍّ مشابه لعمل شارلوك، لأنَّه لا ينوي بذل أي جهد جسدي ضروري لحل القضايا.

ليس لديه طموح أو طاقة، ولن يتزحزح عن هذا حتى
ليثبت حلوله الخاصّة، ويُفضّل أن يُعتبر حله خاطئاً على أن
يتحمّل عناء إثبات صحة كلامه. كثيراً ما أخذت
مُعضلاتي إليه، وحصلت منه على شروحات ثبت صحتها
فيما بعد، غير أنّه كان دائماً غير قادر على حل النّقاط
العملية.

الرجل ذو الشفة المقلوبة

كان آيزا ويتني مدمن على تعاطي الأفيون المخدّر، وكما فهمت فقد اكتسب هذه العادة عندما كان يدرس في الكلية. لقد وجد، كما فعل الكثيرون، أنّ اكتساب عادة ما أسهل بكثير من التخلّص منها أو التّوقف عنها.

وهكذا بقي آيزا عبداً للأفيون ومحط ازدراء وشفقة أصدقائه وأقاربه.

في إحدى ليالي حزيران من العام 1889، رنّ جرس منزلي، فاستويتُ في الكرسي الذي أرتاح عليه، فيما أوقفتُ زوجتي عملها بإبرة الحياكة والامتعاض بادٍ على وجهها من هذا الذي يُزعجنا معتقدةً أنّه مريضٌ مفاجيء. وقالت: لا بد أنّه مريض! سوف تضطر للخروج مجدداً.

لم يرق لي الأمر أنا أيضاً لأنّي بالكاد وصلت إلى المنزل

بعد أن قضيتُ نهراً مرهقاً.

سمعنا بعدها الباب يُفتح كما سمعنا بعض الكلمات التي قيلت على عجلٍ، ثم خطوات متسارعة تدق على الأرض، وبعد ذلك انفتح الباب ودخلت الغرفة امرأةً تضع حجاباً.

- أرجو أن تسامحوني على القدوم بمثل هذه السّاعة المتأخرة.

وما أن انتهت من قول تلك الكلمات حتّى فقدت السيطرة على نفسها، وارتمت بين ذراعي زوجتي تجهش بالبكاء.

- أنا في ورطةٍ كبيرةٍ! إني بحاجة إلى المساعدة!

قامت زوجتي على الفور برفع الحجاب عن وجه المرأة وهي تقول: إنّها كايت ويتني!

لقد فاجأني يا كايت! لم أدرك أنّ هذا أنتِ عندما دخلتِ الغرفة.

- كنتُ ضائعةً وأتيتُ إليكم على الفور.

لم يكن ما يحدث غريباً، فقد كانت زوجتي بالنسبة لمن يعاني مشكلةً كالمنارة بالنسبة للسفن التائهة أو الطيور.

تابعت كايت تقول: أحتاج إلى نصيحة الدكتور ومساعدته أيضاً.

إنَّ الأمر متعلِّقٌ بآيزا. لقد خرج من المنزل منذ يومين ولم يعد حتَّى الآن. أنا قلقةٌ عليه!

لم تكن هذه المرة الأولى التي نتحدَّث فيها عن مشاكل زوجها. لذلك بدا الأمر طبيعياً، وحاولنا أن نهْدئ من روعها ونواسيها، مستخدمين كل ما في جعبتنا من كلام مناسب، لكن بقي السؤال معلّقا.

هل تعرف مكان زوجها؟

وهل يمكننا إعادته لها؟

كانت تصرفاته الخرقاء حتَّى اليوم لا تتعدَّى غيابه عن البيت أكثر من يومٍ واحدٍ فقط، لكن غيابه هذه المرّة امتد لأكثر من ثاني وأربعين ساعة.

كانت زوجته واثقةً أنَّه مستلقٍ في مكانٍ ما على رصيف المرفأ.

لكن ماذا عساها تفعل؟

كيف لامرأة شابة وخجولة مثلها أن تشق طريقها بين
حشود البحارة في مثل ذلك المكان وتحاول إخراج زوجها
من بين المدمنين والسكران الذين يحيطون به؟!

كانت تلك هي المسألة باختصار شديد، وليس هناك
سوى حل واحد للخروج من ذلك المأزق وهي؛ أن أذهب
بنفسي لإخراجه من هناك.

وهكذا كان... في المرحلة الأولى من مغامرتي كان الأمر
سهلاً. وما أن وجدتُ الوكر الذي يُختبئ فيه زوجها حتى
طلبتُ من سائق العربة الوقوف، وترجّلتُ مجتازاً السّلام
نزولاً أحمل بيدي في ذلك المكان المظلم مصباح زيت يهتز
مع حركتي.

وصلتُ إلى غرفةٍ منخفضةٍ جداً تعبق برائحة الأفيون
الغامق. كانت الغرفة مليئة بالأسرة التي توضع في السفن
التي تحمل المسافرين إلى أمريكا والعالم الجديد.

عندما تصبح في مثل ذلك المكان ترى وسط هذا
الدخان الكثيف والغشاوة أطياف أجساد ممددة بوضعيات

غريبة، يستلقي معظمهم صامتين، فيما البعض الآخر
يحدّثون أنفسهم أو يتحدثون مع بعضهم البعض بصوتٍ
منخفضٍ أقرب إلى الهمس وبشكلٍ بطيءٍ ورتيبٍ.

وما أن دخلتُ حتّى اتّجه نحو ي خادِم ماليزي يحمل
معه غليوناً والقليل من الأفيون.

فقلتُ له: شكراً، لا أريد، لن أبقى طويلاً.

أنا أبحث عن صديقٍ لي هنا، إنّه السيد آيزا ويتني.

أود أن أتكلّم معه إذا سمحت.

وفيما أنا أتحدّث مع الخادِم، شعرتُ بحركةٍ على يميني.

وعندما نظرتُ بذلك الاتجاه، وجدتُ ويتني يستلقي

شاحب الوجه منهكٍ وشعره أشعث.

كان ينظر باتجاهي لكنّه لم يعرفني في البداية حتّى

سمعت حديثي فصاح: يا إلهي!

هذا أنت واطسون!

كم الساعة الآن يا واطسون؟



- حوالي الحادية عشرة.

- في أي يوم نحن؟

- الجمعة 19 حزيران.

- يا إلهي! اعتقدتُ أنه يوم الأربعاء!

إنه فعلاً يوم الأربعاء!

ثم وضع وجهه بين يديه وأخذ يبكي بصوتٍ مرتفعٍ.

- قلت لك أن اليوم هو الجمعة.

زوجتكَ تنتظر عودتك منذ يومين وهي بغاية القلق

عليك. ألا تحجل من نفسك؟

- نعم، أخجل من نفسي، لكن هناك سوء فهم في

الموضوع، فقد أتيت إلى هنا منذ ساعاتٍ فقط ولم أدخن

غليون الأفيون سوى ثلاث أو أربع مرّات، لم أعد أذكر

عددها بالتحديد.

على كل حال سأعود معك إلى المنزل.

كيف لي أن أنسى كايث، صغيرتي المسكينة كايث؟!

أعطني يدك! هل العربة بانتظارك؟

- نعم إنها تنتظرني.

وعندما مررتُ قرب الرجل الجالس قرب المدفأة، شعرتُ بأحدهم يشد طرف معطفي ويكلّمني بصوتٍ خافتٍ يهمس لي: تجاوزني ثم التفتُ باتجاهي وانظر إليّ. سمعتُ كلماته بوضوح، واستدرتُ فتأكّدتُ أنّها صدرت حتماً عن الرجل العجوز الجالس بجانب المكان الذي مررتُ منه.

خطوتُ بضع خطوات ثم نظرتُ إلى الخلف.

لا أدري ماذا فعلت حتى سيطرتُ على نفسي لأمنعها من إطلاق صيحة تعجّب كبيرة، فلم يكن العجوز الذي أدار ظهره حتّى لا يُرى وجهه أحد سوى شارلوك هولمز بلحمه وشحمه حيث فجأة اختفت عنه ملامح الرجل العجوز فقد أمتلأ جسمه واختفت التّجاعيد وعاد البريق لعينه.

أشار لي كي أقترّب منه.

وما أن فعلت حتّى همستُ له: هولمز! ماذا تفعل هنا بالله عليك؟



- اخفض صوتك قدر ما تستطيع، فسمعي ممتاز.
أرجو أن تتخلص من صديقك الاسكتلندي لأنني بحاجة
إلى التحدث معك قليلاً.

عادة ما يكون رفض طلباً لشارلوك هولمز مسألة صعبةً
لأنه يصوغ طلباته بدقة وبراعة.

لقد اعتقدتُ قبل رؤية شارلوك هولمز في هذا المكان
الغريب بأن مهمتي ستنتهي عندما يستقل ويتني العربة
التي ستأخذه إلى منزله، لكن بعد رؤيته كان جل ما تمنيتُه
أن أشارك صديقي هولمز مغامرةً أخرى من مغامراته
الشيقة التي تشكّل خبزه اليومي.

وما هي إلا دقائق معدودة حتى سددتُ ماتوجب على
ويتني وأوصلته إلى العربة التي أقلته تحت جناح الظلام إلى
منزله.

وسرعان ما لاح من حجرة الأفيون وجهٌ منهك لأجد
نفسي أمشي برفقة شارلوك هولمز في الشارع بعد قليل.

- لقد فاجأتني رؤيتك في مثل هذا المكان.

- لم تكن مفاجئتك أكبر من مفاجئتي.

- أتيتُ بحثاً عن صديق.

- أمّا أنا فقد أتيتُ بحثاً عن أحد أعدائي.

- عدو؟

- المسألة باختصار يا واطسون، أنّي الآن أُجري تحقيقاً

مهماً جداً. لقد أتيت إلى هنا أملاً بالحصول على حل، كما فعلتُ من قبل.

هناك بابٌ خلف هذا البناء، لو تمكّن من الكلام،

لروى قصصاً غريبة عن الذين يعبرونه في الليالي المظلمة والتي لا ينيرها ضوء القمر.

وضع سبابتيه بين أسنانه وأطلق صافرةً قوية كانت

عبارة عن إشارة ما، سرعان ما وجدت من يرد عليها

بصفيرٍ مماثل من مكانٍ بعيد، ثمّ سمعت صوت عجلات

عربة وطرق حوافر حصان على الأرض.

- سترافقني يا واطسون، أليس كذلك؟

- إذا كنت بحاجة لي.

- نحتاج دوماً إلى صديق موثوق به. هناك سريران في

عرفتني في سیدارز.

- سیدارز؟

- نعم، إنَّه منزل السَّید سانت کلیر. أمكثُ هناك إلى أن أنهي التَّحقيق.

- لكنِّي لم أفهم شيئاً بعد.

- هذا صحيح. ستعرف كل شيء قريباً. هيا بنا، اصعد إلى العربة.

حسناً يا جون، لن نحتاج إليك الآن. إليك هذا النصف كراون.

أرجو أن تلاقيني غداً في الحادية عشرة تقريباً.

ضرب الحصان بسوطه فانطلقنا عبر دهليز متشابك من الشوارع المعتمة الخالية من المارة.

ما لبثتُ تلك الدَّهاليز أن اتَّسعت تدريجياً إلى أن وصلنا إلى جسر واسع له سور حديدي والنهر المعتم يجري من تحتنا



كان هولمز صامتاً طوال الرحلة وكأنّه يفكّر، بينما جلستُ أنا بقربه مُتحرِّقاً لمعرفة المزيد عن قضيته الجديدة.

وبعد أن اجتزنا بضعة أميال وشارفنا على الوصول إلى أطراف منطقة الفيلات، انتفض هولمز وسوّى كتفيه ثم أشعل غليونه، وكأنّه كان راضياً عما قام به وقال: إذا كان الكلام من فضّة فالسكوت من ذهب يا واطسون. لكنني سعيدٌ لأجد شخصاً أستطيع الكلام معه.

ماذا سأقول لتلك المرأة العزيزة عندما تستقبلني بعد قليل عند باب البيت؟

- لا بد أنّك نسيت مرة أخرى أنني لا أعرف شيئاً عن الموضوع حتّى الآن؟

- لدينا ما يكفي من الوقت لأخبرك بكل الوقائع قبل أن نصل إلى «لي».

- تفضّل.

- قبل بضع سنوات، وتحديداً في شهر أيار عام 1884، جاء رجلٌ يُدعى نيفيل سانت كلير إلى «لي».

كان يبدو عليه أنّه رجلٌ ثري جداً فقد اشترى فيلا

كبيرة، وكوّن تدريجياً شبكة من المعارف والأصدقاء الجدد من الجوار، كما تزوّج في العام 1887 ابنة شخص يعمل في صناعة البيرة أو الجعة، ورزق منها بولدين.

لم يكن للرجل وظيفة محدّدة لأنّه كان يُدير مجموعة من الشركات.

وقد اعتاد أن يذهب إلى المدينة صباحاً ويعود في تمام الخامسة وأربعة عشرة دقيقة كل مساء عبر شارع كانون.

يبلغ السيد سانت كلير من العمر الآن 37 عاماً وليس لديه عادات مميّزة. إنّهُ زوّج صالح وأب عطوف وجميع من يعرفونه يحبونه. كما أنّه لا يوجد ما يدل على أنّه كان يعاني مشاكل مادية.

توجّه السيد سانت كلير إلى المدينة نهار الاثنين الماضي أبكر من العادة، ووعد أن يجلب معه لابنه لعبة.

وقد صادف أن تلقّت زوجته بعد رحيله برقيّة تقول: أنّ طرداً مهماً كان ينتظره وصل إلى مكتب شركة أبردين للشحن في شارع فرينسو حيث وجدتني الليلة.

تناولت السيدة سانت كلير غداءها وتوجّهت إلى وسط

المدينة. ذهبت أولاً للتسوق ثم توجهت إلى مكاتب شركة أبردين، ووصلت في تمام الساعة الرابعة وخمس وثلاثين دقيقة إلى شارع سواندام بطريق العودة إلى المحطة.

هل تتابع التفاصيل بوضوح وتركيز يا واطسون؟
- نعم... كل شيء واضح حتى الآن.

- سارت السيدة سانت كلير ببطء وهي تبحث عن
عربة تقلها.

وفيما هي تفعل ذلك، سمعت فجأة هتافاً وصراخاً،
وكم فوجئت عندما رأت زوجها ينظر إليها من الأعلى،
وتسنى لها أن ترى وجهه بوضوح وآثار التوتر بادية عليه.
وسرعان ما اختفى فجأة بعيداً عن أنظارها كما لو أنّ قوة
خارقة شدته من الخلف.

وبملاحظة الأنثى القويّة انتبهت السيدة سانت كلير أنّ
زوجها لم يكن يضع ربطة العنق أو الياقة رغم أنّه كان
يرتدي معطفه الدّاكن.

حينها أدركت أنّه في ورطة، وأنّ مكروهاً قد أصابه،
فنزلت السُّلم على عجل إلى داخل المنزل لكن ذلك المكان

لم يكن سوى واحد من أوكار الذين يتعاطون الأفيون وهو المكان الذي وجدتني فيه الليلة.

ركضت السيدة سانت كلير باتجاه الغرفة الأمامية حيث حاولت صعود الدّرج إلى الطّابق الأول، إلا أنّها واجهت هناك ذلك النّذل لاسكار الذي منعها من المضي بطريقها وحملها ورمّاها في الشّارع.

وهناك التقت مصادفةً بمفتّش في شارع فرينسو.

فرافقها هو ورجلان آخران إلى المكان الذي طُردت منه وتحديداً إلى الغرفة التي شاهدت زوجها من شبّاكها، لكنّهم لم يجدوا أثراً للسّيد سانت كلير، باستثناء اللعبة التي وعد بجلبها لابنه.

كان اكتشاف ذلك، إضافة إلى الارتباك الواضح على وجه ذلك المُعاق، جعل المفتّش يدرك مدى خطورة الوضع.

تمّ تفتيش الغرف بدقّة، وأشارت كل نتائج التّفتيش إلى وقوع جريمة مروعة.



فنتيجة التفتيش والتدقيق، وُجدت آثار دماء على حافة
النّافذة حيث وقف السيد سانت كلير إضافة إلى عدة
قطرات دم متفرّقة على الأرض الخشبية لغرفة النوم.

كما وُجد خلف ستارة شبّاك الغرفة الأمامية كل ثياب
السيد سانت كلير باستثناء معطفه.

كان يبدو أنّه اختفى عبر النّافذة كونها المخرج الوحيد
في الغرفة.

الآن يجب أن نتساءل عن الأشرار المتورطين مباشرة في
هذه القضية.

لدى لاسكار سوابق وسجّل إجرامي سيء. لكن بما أنّ
السّيدة سانت كلير ذكرت في روايتها أنّه كان موجوداً عند
أسفل الدّرج بعد ثوان معدودة على اختفاء زوجها، أدعى
أنّه لم يكن يعلم شيئاً بما يجري فوق.

كما نفى معرفته بالطريقة التي وصلت فيها ثياب السّيد
سانت كلير إلى هناك.

أمّا بالنسبة لذلك المعاق البائس الذي يقيم في الطّابق
الثّاني من وكر الأفيون، والذي كان بالتأكيد آخر من

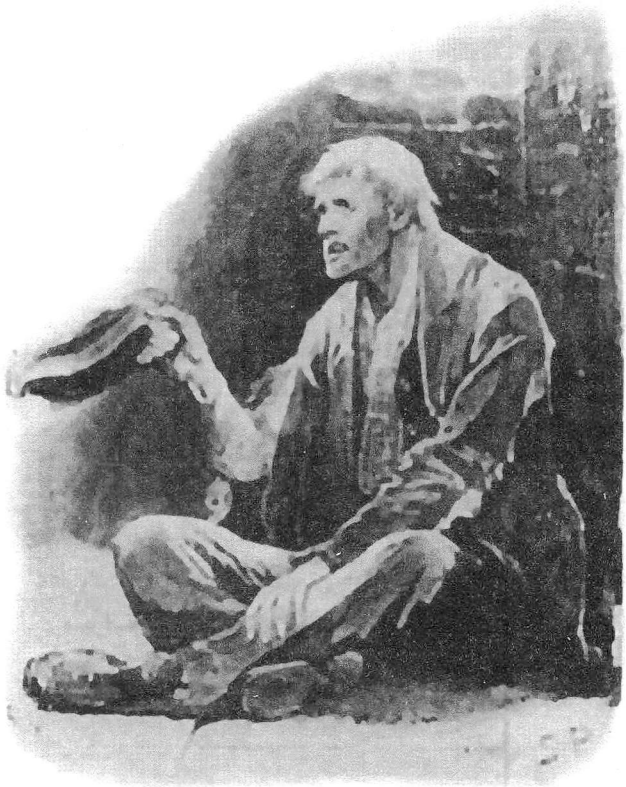
شاهد نيفيل سانت كلير، فيُدعى هوغ بون وهو متسوّل
يتّخذ التّسوّل عملاً له.

لا بد أنّك لاحظت وجود فجوة صغيرة بجانب شارع
تريدنيدل اليسرى.

هناك يجلس ليتسوّل من المارة، وقد علمنا أنّ نزيل في
وكر الأفيون وأنّه آخر من شاهد الرّجل الذي نبحت
عنه.

- سألت متعجباً: لكنّه معاق! ماذا يمكن لرجل مبتور
اليَد أن يفعل أو يقاتل أو يتعارك مع شاب بكامل صحته
وفي مستقبل العمر؟

- أنت تعرف يا د. واطسون بحكم خبرتك الطّبيّة أنّ
من يكون معاقاً بأحد أعضاء جسمه يكون شخصاً ذا
قدرات خارقة في أعضاء أخرى من جسده.
- أرجو أن تكمل لي سلسلة الأحداث.



- عندما رأت السيدة سانت كلير الدّم على النّافذة، سقطت أرضاً مغشياً عليها، فأعادتها الشرطة إلى منزلها.

أمّا المفتّش بارتون الذي تولّى القضية فقد تفحص المكان بدقة متناهية لكن دون أن يجد ما يفيد.

برأيي لقد أخطأت الشرطة بعدم إلقاء القبض فوراً على بون مما منحه بضع دقائق، أخبر خلالها لاسكار بما حدث، ورغم أنّه ألقي القبض عليه لاحقاً وتم تفتيشه، لكنّهم لم يعثروا معه على أي شيء يدينه بالجريمة.

حتّى أنّه نفى نفيّاً قاطعاً رؤية السيّد سانت كلير وأقسم أنّ وجود ثيابه في الغرفة لغز يحيره بمقدار ما يحير الشرطة.

أمّا بالنسبة لقول السيدة سانت كلير أنّها شاهدت زوجها على نافذة الغرفة، فأدعى أنّها لا بد أن تكون تحلم أو تتخيّل حسب رأيه.



بعد ذلك عثرت الشرطه وبعد بحث عند الضفة الموحلة ما كانت تخشى أن تجده، معطف نيفيل سانت كلير وليس جثته، بعد أن تراجعت المد في البحيرة، فماذا وجدوا في جيب معطفه برأيك؟

- لا أدري.

- لم أعتقد أنك ستحزر.

لقد وجدوا في كل جيب من جيوبه مجموعة كبيرة من القروش وأنصاف القروش أي العملة التي غالباً ما يحصل عليها المتسولون.

وعندها عرفوا لماذا لم يجرف التيار المعطف معه نظراً لوزن العملة المعدنية الكبير الذي جعل المعطف أثقل على الماء وبالتالي لم يجرفه التيار فيما ابتلع النهر الجثة العارية.

- لكن كل ملابسه الأخرى كما فهمت، كانت موجودة في الغرفة. أي أن المعطف كان يغطي جسده العاري؟

- لا يا عزيزي واطسون. لنفترض أن بون رمى نيفيل سانت كلير من النافذة، فماذا يجب أن يفعل بعد ذلك؟

عليه التخلص من الشيا ب التي ستفضح أمره بالتأكد.

لكن لم يكن أمامه متسع من الوقت، فسارع إلى مخبأ سري أخفى فيه أموال التسول وملاً الجيوب بما طالته يده من نقود كي لا يطفو المعطف على وجه الماء في النهر.

ثم رماه وأراد فعل الشيء نفسه بالثياب الأخرى لولا سماعه للخطوات المسرعة في الطابق الأرضي كما لم يتمكن من إغلاق النافذة بإحكام قبل وصول الشرطة.

- هذا منطقي جداً.

- سنعمل على أساس أنّ هذه الفرضية صحيحة بانتظار ما هو أفضل.

لكن هناك سؤال مهم لماذا جاء نيفيل سانت كلير إلى وكر الأفيون؟

وماذا حلّ به؟

وأين هو الآن؟

وما علاقة هوغ بون باختفائه؟

أقسم أنّي لم أعمل على قضية بهذه السهولة في البداية وتحوي هذا الكم من الصعوبات في مراحلها اللاحقة.

خاص شارلوك هولمز في هذه التفاصيل المثيرة لمجريات الأحداث، وهو يجول في ضواحي المدينة حتى تجاوزنا قريتين نائيتين كانت الأنوار لا زالت تضيء بعض نوافذهما.

قطع زميلي جبل الصمت قائلاً: أترى ذلك الضوء بين الأشجار؟ هذه هي سيدارز، وقرب هذا المصباح تجلس امرأة لا شك أنها متيقظة لدرجة لاحظت فيها اقترابنا وسمعت صوت حوافر حصان عربتنا.

آه كم أكره مواجهتها يا واطسون فيما لا أحمل لها أي خبر جيد عن زوجها. ها قد وصلنا.

توقّف أمام فيلا كبيرة تحيط بها أرض واسعة. وأسرع الحوذي الصغير ليمسك بالحصان فيما توجهت أنا خلف هولمز عبر ممر مفروش بالحصى إلى المنزل.

وما أن اقتربنا من الباب حتى فُتح وظهرت من خلفه امرأة شقراء قصيرة القامة.

وقفت تنظر إلينا بعينين متوجستين قلقاً وكأن هناك سؤال معلق على شفيتها. سألت: حسناً؟ هل من أخبار جديدة؟

- كلا.

- هل هناك أخبار سيئة؟

- لا.

- حمداً لله. تفضلاً بالدخول. لا بد أنكما متعبان بعد

عناء يوم طويل.

- أود أن أقدم لك صديقي الدكتور واطسون.

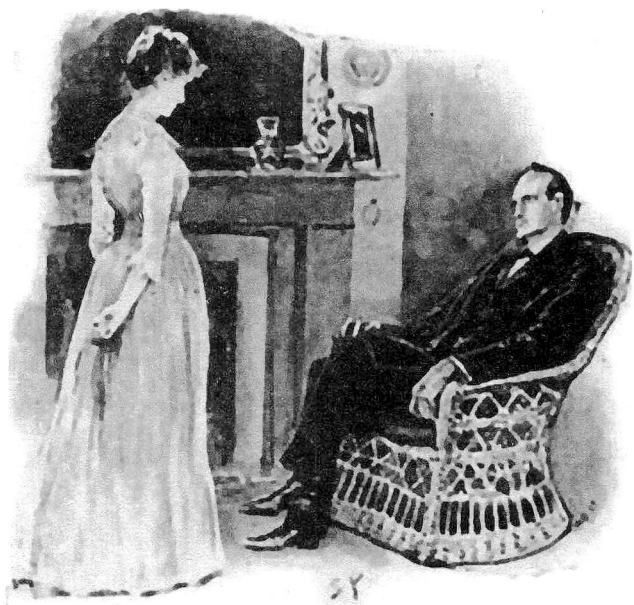
لقد قدم لي مساعدة كبيرة في العديد من القضايا التي عملت عليها وشاءت مصادفة سعيدة أن أتعرف عليه وأشاركه تحقيقاتي.

أجابت بعد أن شدّت على يدي بحرارة وهي تصافحني: تشرّفتُ بمعرفتك.

أرجو أن تعذروني إذا كان المنزل بحالة من الفوضى فقد أصبحتُ كالتّأثّة بعد هذه المصيبة التي وقعت على رأسي.

- لا داعي للاعتذار يا سيدتي.

دخلنا غرفة الطّعام المضاءة، فوجدنا حساءً بارداً بانتظارنا على الطّاولة.



قالت: هل يمكنني أن أسألك سؤال أو اثنين يا سيد شارلوك هولمز وأتمنى أن تجيبني بصراحة؟
- طبعاً، تفضلي.

- هل تعتقد حقاً أن نيفيل لا يزال حياً؟
كان السؤال محرجاً جداً لهولمز، فتابعت قائلة: أرجوك أخبرني رأيك بصراحة ودون موارد!
ثم نظرت إليه بتمعن بينما أرخى هو جسده على كرسي الخيزران الذي يجلس عليه.

- بصراحة يا سيدتي، لست أدري.

- هل تعتقد أنه ميت؟

- نعم.

- ميت نتيجة جريمة قتل؟

- ربما.

- هل يمكنك أن تشرح لي إذن يا سيد هولمز، من أين أتت هذه الرسالة اليوم؟

وقفت باسمّة تحمل في يدها ورقة صغيرة.

تناول هولمز الورقة بحماسةٍ بالغَةٍ وفتحها على الطاولة، ثمّ قام بتقريب المصباح منها وأخذ يقرأها بتمعُّنٍ. حتّى أنا نهضتُ عن مقعدي وبدأتُ أقرأ بدوري من خلفه.

كان المغلّف متسخاً ويحمل ختم غريفساند وتاريخ اليوم أو بالأحرى تاريخ يوم أمس كون السّاعة تجاوزت منتصف الليل.

- هذا بالتأكيد ليس خط يد زوجك.

- لا، ليس خط يده. لكن محتوى المغلّف صحيح.

- أعتقد أيضاً أنّ مُرسل الخطاب سأل أولاً عن العنوان.

فلننظر إلى الرّسالة الآن! هنا المحتوى.

- نعم كانت هناك حلقة، حلقة ختمه.

- هل أنت واثقة من أنّها يد زوجك؟

- إنّها إحدى يديه.

- إحدى يديه؟

- عندما يكتب على عجل. هذا ليس خطّه المعتاد،

لكنني أعرفه جيّداً.



كان الخطاب يقول:

لا تقلقي يا عزيزتي. كل شيء سيكون على ما يرام. لقد وقع خطأ فادح سوف نعمل على تصحيحه، لكن الأمر سيتطلب بعض الوقت. أرجو أن تكوني صبورة.

نيفيل

- لقد تمّت كتابة الرسالة بقلم رصاص على ورقة ممزّقة من كتاب، ولا يوجد علامة على نسيج الورق.

كما أنّ من أرسلها عبر بريد غريفساند شخص يده ممتسخة.

إضافةً لذلك فإنّ الحاشية قد تمّ محوها من قبل شخص كان يمضغ تبغاً. ومع كل هذا أنتِ واثقةٌ أنّه خط زوجك يا سيّدي؟

- نعم، نيفيل هو من كتب هذه الرسالة.

- حسناً إذن، يبدو أنّ غيوم الشك والقلق المخيفة بدأت تنقشع يا سيدة سانت كلير رغم أنّي لن أخاطر وأقول لك أنّ الخطر قد زال كلياً.

- بالله عليك يا سيد هولمز، لا تقوِّض آمالي. أنا واثقةٌ تماماً أنَّه بخير.

هناك تخاطر رُوحِي عميق بيني وبين زوجي يجعلني أَسْتَشعر الخطر المحدِّق به على الفور.

- هذه الرِّسالة أكبر دليل على ما تقولينه. لكن لو كان زوجك فعلاً على قيد الحياة ويستطيع كتابة خطاب لك، لماذا إذن فضَّل التَّواري والاختباء عندما رآك؟ ألم يذكر شيئاً قبل أن يغادر يوم الاثنين؟

- لا.

- هل تفاجأتِ لرؤيته في شارع سواندام؟

- جداً.

- هل كانت النَّافذة مفتوحة عندما شاهدتيه؟

- نعم.

- ولم يصدر عنه سوى صرخة مبهمة كما فهمت، أليس كذلك؟

- نعم.

- نعم.

- هل اعتقدت أنه كان يطلب النجدة؟

- نعم. فقد كان يشير بيديه.

- ربما كانت صرخة تعجب عندما رآك، فرفع يديه.

- هذا ممكن.

- هل تعتقدين أن أحداً ما قد شدّه بعنف من الخلف؟

- لقد اختفى فجأة.

- ربما تراجع هو إلى الخلف. هل رأيت أحداً غيره في

الغرفة؟

- لا، لكن ذلك الرجل المريع اعترف أنه كان هناك، و

لاسكار كان موجوداً عند أسفل الدرج.

- هذا صحيح. لكن هل كان زوجك يرتدي ثيابه

المعتادة؟

- نعم، لكن دون ياقته أو ربطة عنقه. لقد رأيت عنقه

عارياً.

- هل سبق أن ذكر شارع سواندام أمامك من قبل؟

- أبداً.

- شكراً سيدة سانت كلير. لقد أردتُ التّأكد من هذه النقاط. سوف نتناول الحساء ونخلد إلى النّوم لأنّ بانتظارنا يوماً طويلاً جداً غداً.

خصّصت لنا السيّدة سانت كلير غرفة نوم كبيرة ومريحة بسريرين.

وسرعان ما غفوت نتيجة إرهاقي بعد أن أنهكتني مغامرتي الليليّة، أمّا بالنّسبة لشارلوك هولمز، فكلّما كانت لديه مشكلة لم يستطع حلّها، ما كان ليهدأ له بال قبل إنهاءها حتّى لو تطلب الأمر بقاءه مستيقظاً لأيام وأسابيع.

فهو يستمر بتحليل ومراجعة الأحداث والوقائع ويضع النّظريّة تلو الأخرى حتّى يفهم ما حدث، أو يقتنع أنّ ما لديه من معلومات ليس كافياً للتّوصل إلى حل.

استيقظتُ على صوت عالٍ مفاجئ، فضربت عيني مباشرة شمس الصيف وقد تسلّلت أشعتها الأولى إلى الغرفة.

كان شارلوك هولمز لا يزال يدّخن تبغ غليونه، حيث امتلأت الغرفة برائحة الدخان.



وعندما استقمتُ في السرير، سألت: هل استيقظتَ يا واطسون؟

- نعم.

- أأنت مستعد للرحلة الصّباحية؟

- طبعاً.

- ارتدِ ملابسك إذن.

كان يبدو شخصاً مختلفاً عن ذلك الذي كان يفكّر بعمق الليلة الماضية.

نظرتُ إلى ساعتي وأنا أرتدي ملابسني. كانت الساعة تشير إلى الرابعة وخمس وعشرين دقيقة صباحاً.

وما أن انتهيت من ارتداء ملابسني حتّى دخل هولمز يخبرني أنّ الحوذي الشاب يسرج الحصان.

قال وهو يتعلّح حذائه: أود أن أجرب صحة إحدى نظريّاتي. أعتقد أنّي أملك مفتاح حل هذا اللّغز.

سألته مبتسماً: وأين هو هذا المفتاح؟

أجاب: في «الحمام».

وتابع كلامه عندما شاهد علامات التعجب تغزو ملاحى: أنا جاد. كنت هناك، وجدته فأخذه. هيا، ستتحقق إن كان هو المفتاح المناسب للقفل الذي أفكر فيه.

نزلنا الدرج بأقصى سرعتنا وخرجنا إلى شمس الصباح الساطعة وتوجهنا من هناك إلى لندن.

قال هولمز: إنها قضية مميزة لأسباب عديدة.

كان الوقت لا يزال باكراً عند وصولنا لندن، وبدأ من استفاقوا باكربين بملء شوارعها، فيما البعض لا يزال ينظر من النافذة والنحاس ما زال مسيطراً عليهم.

كان عناصر شرطة شارع بو يعرفون شارلوك هولمز جيداً. حيّاه شرطيان عند باب المركز، وأمسك أحدهما لجام الحصان، بينما قادنا الآخر إلى الداخل.

سأله هولمز: من المناوب اليوم؟

- المفتش برادستريت يا سيدي.

- برادستريت، كيف حالك؟

تقدّم باتجاهنا عبر الرواق رجل طويل القامة قوي
البنية فقال هولمز: برادستريت، أود التّحدث إليك لو
سمحت.

- بالطبع يا سيد هولمز. تفضّل إلى مكّتي.

دخلنا غرفة مكتب صغيرة، جلس فيها المفتّش خلف
مكتبه وقال: كيف يمكنني مساعدتك يا سيد هولمز؟

- أتيت بحثاً عن المتسول بون، ذاك الذي اتُّهم بالعلاقة
باختفاء السيد نيفيل سانت كلير.

- نعم، لقد أحضرناه إلى هنا وأبقيناه لمزيد من
التّحقيقات والاستجواب.

- صحيح. لقد عرفت ذلك. أما زال هنا؟

- في زنزانته.

- هل هو هادئ؟

- تماماً، لكنّه نذل وسخ.

- وسخ! كيف ذلك؟

- نعم. بالكاد أجبرناه على غسل وجهه المغطّي

بالسَّخَام، وكأنَّه سمكري أو عامل الصَّرف الصحي.

- أود أن أراه.

- حقاً؟ لا بأس. تفضلاً بمرافقتي.

قادنا المفتش عبر ممر ينتهي بباب عليه مزلاج كبير، ثمَّ نزلنا على درج لولبي وصولاً إلى ممر آخر جدرانه بيضاء تتوزع الأبواب على جانبيه.

قال المفتش: ثالث باب على اليمين.

فتح على مهل لوحة في أعلى الباب ونظر عبرها. ثمَّ نظرنا نحن بعد ذلك عبرها أيضاً.

كان السجين مستلقياً ووجهه قبالتنا، كان مستغرقاً في سباتٍ عميق.

لقد كان يتنفس ببطء وعمق، وكان متسخاً جداً كما قال المفتش لكن القذارة التي غطَّت وجهه لم تتمكَّن من إخفاء بشاعته التي ينفر منها أي شخص، حيث لاحظنا وجود ندبة قديمة تمتد من عينه حتَّى ذقنه. وقد انقلبت شفته العلوية نتيجة انقباض الندبة.



قال المفتش: إنه آية في الجمال، أليس كذلك؟!

- يحتاج إلى حمام. لقد فكّرتُ بذلك وجلبتُ معي
العدة اللازمة للأمر.

لم أصدّق عيني عندما رأيته يفتح حقييته ويخرج منها
ليفة حمام كبيرة.

ضحك المفتش وقال: أنت مضحك فعلاً يا سيد
هولمز!

- هلا فتحت الباب بهدوء لنخرجه بعد ذلك بمظهر
لائق؟

أدخل المفتش المفتاح في القفل ودخلنا جميعاً الزنزانة
بهدوء.

استدار السجين في نومه واستغرق مجدداً في نوم عميق.

بلّل هولمز الليفة وفرك بها وجه السجين مرتين وبقوة.

ثم صاح قائلاً: أقدم لكم السيد نيفيل سانت كلير،
من منطقة «لي» في مقاطعة «كنت»!

لم أر في حياتي كلّها مشهداً يُشبه هذا المشهد! انقشع

وجه الرجل كلحاء شجرة أو جلد أفعى .

فزالت الندبة والشفة المقلوبة التي منحت وجهه تلك

الهيئة المنفرّة!

وعندما أدرك الرجل ما حل به، صرخ بصوت عالٍ

وأخفى وجهه في وسادته .

قال المفتش: يا إله السماوات! إنه فعلاً الرجل المفقود .

تعرّفت عليه من خلال الصورة .



استدار الرجل وقد بدا مُستسلماً بلا حول أو قوة وقال:
حسناً، أنا هو. ما ذنبي؟

- أنا أعمل مع الشرطة منذ 27 عاماً لكن هذه القضية
هي أغرب قضية واجهتها في حياتي.

- إذا كنت أنا فعلاً السيد نيفيل سانت كلير، من
الواضح أنّه لا يوجد جريمة، وبالتالي فأنا موقوف بصورةٍ
غير شرعية.

- ليس هناك أي جريمة لكن خطأ فادحاً قد حدث.
كان عليك أن تثق بزوجتك أكثر مما تفعل حتى الآن.

- ساعدني يا إلهي! لا أريد أن ينجّل أولادي بأبيهم.
يا إلهي! ياللعار! ماذا عساي أن أفعل؟

جلس شارلوك هولمز قربَه على السرير وربت بلطف
على كتفه وقال له: لو تركت للمحكمة حرية البت في
القضية، من الصعب جداً ألا يفتضح أمرك.

من جانب آخر، إذا نجحتُ في إقناع الشرطة بأنك غير
مذنب، لا أرى أنّه هناك أي داعٍ لنشر تفاصيل ما حدث في
الصحف وتحول الأمر إلى فضيحة بالنسبة لك.

- فليباركك الله! أفضّل التّوقيف والسجن المؤبّد وحتى الموت شنعاً على افتضاح أمري وانكشاف سري أمام عائلتي وأولادي.

والآن ستكون أنت أول من يعرف قصّتي الحقيقيّة.

بدأتُ العمل كصحفي في جريدةٍ مسائيّة في لندن. رغب رئيس التّحرير في أحد الأيام أن ينشر سلسلة مقالات عن ظاهرة التّسوّل في المدينة، فتطوّعتُ أنا لإجراء التّحقيق الصحفي.

ومن هنا بدأت مغامرتي... كانت الطّريقة الوحيدة للحصول على التّفاصيل اللازمة لمقالاتي أن ألعب بنفسي دور المتسول.

وهكذا تسوّلتُ أول مرّة لمدة سبع ساعات.

وكم فوجئت مساءً ذلك اليوم عندما أدركتُ أنّي قد جنيت 26 شلناً وأربعة بنسات.

كُتبت مقالاتي ولم أهتم أن تأخّرت عن سداد سند أمانة مستحق عليّ لأحد أصدقائي وقدره 25 جنيهاً.

وبينما أنا أفكّر في طريقة أوّمن بها المال، خطري أن

أتسوّل لعشرة أيام في وسط المدينة وأنا متنكّر تاماً كما فعلت في المرة الأولى.

وتمكّنت بغضون عشرة أيام من جني المبلغ اللازم وتسديد الدين.

عندها بدأتُ أعيش صراع نفسي حاد بين عزّة نفسي التي تأبى التّسوّل وحاجتي الملحّة للمال لينتصر المال في النهاية، فتركتُ عملي في الصحافة، وبدأتُ أعمل كمتسول، وأخذتُ يوماً بعد الآخر أقضي وقت عملي في زاويتي في الشارع.

ولم يعرف أحد سرّي إلا رجل واحد هو لاسكار، صاحب وكر الأفيون في شارع سواندام حيث كنت أدخل إليه صباحاً كسيّدٍ مُحترم وأخرج بعد قليل كمتسول، وأعود في المساء لأدخل كمتسول وأخرج كرجلٍ مُحترم.

كنت أدفع مبلغاً مُحترماً من المال إلى لاسكار كي أطمئن إلى كتمه لسري.

وبعد وقت قصير أدركت أنني أجني مبالغ وفيرة من المال.

وكبر طموحي مع ازدياد ثروتي، فاشترت منزلاً في الريف، وتزوَّجتُ دون أن يعرف أحد طبيعة عملي.

حتى أن زوجتي العزيزة لم تكن تعرف إلا أنه كان لدي مصالح في وسط المدينة دون أن تعلم أي تفاصيل أخرى.

كنت يوم الاثنين الماضي قد أنهيتُ عملي وبدأت أرتدي ثيابي الجيدة في الغرفة العلوية من وكر الأفيون، حين رأيتُ من النافذة زوجتي تنظر إلي.

عندها أطلقتُ صرخة تعجب كبيرة وغطيتُ وجهي بيدي، وهُرعَت إلى لاسكار أطلب منه منع أي شخص من الصعود إلى الأعلى.

وبالفعل، سمعت صوتها بالأسفل لكنني ارتحت لأن لاسكار منعها من الصعود.

قمت بخلع ملابسِي بسرعة، وارتديت ملابس المتسوّل وتنكّرتُ بحيث يصعب حتّى على زوجتي التّعرف عليّ.

وخطر ببالي، ماذا لو فتّشوا الغرفة ووجدوا ملابسِي؟ ففتحت النافذة وأعدت فتح الجرح الذي أصابني صباحاً في غرفة نومي، ثم تناولت معطفي وقد ملأت جيوبه

بالنقود المعدنية التي جنيها ذلك اليوم ورميته عبر النافذة إلى نهر التايمز الذي جرفه معه.

كنت سأفعل نفس الشيء ببقية الثياب عندما سمعت صوت أقدام مهرولة تصعد الدرج.

وتبين لي بعد لحظات أنهم لم يتعرفوا عليّ على أي السيد نيفيل بل على أيّ قاتله! ولكم أن تصدّقوا أو لا، لقد شعرتُ بارتياح كبير!

علمتُ أن زوجتي ستقلق كثيراً بشأني، فأخذتُ خاتمي وأعطيته إلى لاسكار دون أن يراني أحد، طالباً منه أن يرسله إلى زوجتي كي تطمئن.

عندها قال هولمز: لكنّها لم تتلقَ الخاتم إلا يوم أمس.

- يا إلهي! لا بد أنّها أمضت أسبوعاً مرّ عليها وكأنّها في الجحيم.

فقال المفتّش برادستريت: التّأخر طبعي كون رجال الشرطة كانوا يراقبون لاسكار، فكان صعباً عليه أن يرسل الخطاب إلى زوجتك دون أن يراه أحد.

إذا كان على الشرطة أن تتكّتم على هذا الأمر، يجب أن

تختفي شخصية هوغ بون إلى الأبد.

- أقسم بشرفي ألا أتسوّل بعد الآن.

- حسناً إذن، في هذه الحالة، لن يتم اتّخاذ أي تدابير إضافية بشأن هذه القضية.

لكن إذا ضبطك تتسول مجدداً، سأفصح أمرك بنفسي لعائلتك والعالم.

أنا واثق يا سيد هولمز أننا ندين لك بالكثير لأنك أوضحت وفككت رموز هذا اللغز المحير. ليتني أعرف كيف تتوصّل إلى حل هذه الألغاز.

أجاب صديقي: لقد تمكّنت من حلّ اللغز بجلوسي على خمس وسادات وتدخين الكثير من التبغ.

أعتقد يا واطسون أننا لو انطلقنا الآن إلى شارع بيكر، سنصل في الوقت المحدّد لتناول طعام الإفطار.

• انتهى •

